ابن سبعين

والإمبراطور فردريك

العلامة الصوفى ، عبد الحق بن سبعين ، من أكبر تلاميذ الشيخ محيي الدين بن عربى . . وكان يلقب « بقطب الدين » وهو من أبناء مدينة « مرسية » بالأندلس .

يقول عنه المؤرخ ـ المقرى ـ فى كتابه « نفح الطيب » : « . . . وهو من بيت كريم نابه الذكر ، ونشأ رحمه الله ترفاً مبجلا فى ظل جاه ونعمة ، وكان وسيما جميلا ملوكى البزة ، عزيز النفس ، قليل التصنع ، وكان آية من الآيات ، فى الإيثار والجود بما فى يده » .

وقد أنشأ ابن سبعين فى التصوف « جماعة السبعينية » ذات الأثر الكبير فى الشمال الإفريقى .

وترك فى التصوف آثاراً علمية خالدة منها : « عقيدة المحقق ، وطريق السالك المتبتل » و « الدرة المضيئة » و « نصائح صوفية » .

وهو الذى أنشأ الوثيقة التى بايع بها أشراف مكة المستنصر بالله محمد ابن أبى زكريا بن عبد الواحد بن حفص ، صاحب إفريقية ، وقد خطبوا له بعد ذلك بعرفة .

وقد لقى ابن سبعين من خصوم التصوف عنتاً وإرهاقاً طوال حياته ، ولاحقته الخصومة بعد مماته ، وظفر من مدرسة ابن تيمية بالنصيب الأكبر من القدح والتشهير .

ويأتى اليوم مستشرق عالمى هو : « آنخل جنثالث بانثبا » الإسبانى ، فيسجل لابن سبعين موقفاً من مواقفه الخالدة فى إعلاء شأن العلم الإسلامى ، والمعرفة الصوفية .

يقول فى كتابه « تاريخ الفكر الأندلسى » : « . . . وقد طار صيت ابن سبعين فى حياته كل مطار ، وبلغت أخباره علمه الواسع مسامع كونت روما والبابا ، كما يفهم من كلام ابن الخطيب ، وعندما عرضت للإمبراطور فردريك الثانى ملك صقلية ، بضع مسائل فلسفية ، بعث يستفتى فيها علماء العصر ، فى مصر أو الشام ، أو العراق ،

أو آسيا الصغرى ، أو اليمن ، فلم يجد عند أحد منهم ما ينقع غليلا ، فأرسل بها إلى إفريقية ، وعهد إلى ابن سبعين فى الإجابة عليها .

قال ابن الخطيب فى الأحاطة : « ولما وردت على ـ سبته ـ المسائل العقلية ، وكانت جملة من المسائل الحكمية ، وجهها علماء الروم تبكيتاً للمسلمين !! ؟ » انتدب للجواب المقنع عنها على فتاء من سنه ، وبديهية من فكرته ، فكتب فى ذلك رسالة لا زالت بين أيدينا تعرف : « بالأجوبة على المسائل الصقلية » وهذه المسائل ، أربعة أسئلة ، نصها كما يلى نقلا عن إجابات ابن سبعين :

أولا : الحكيم « أرسطو » يفصح فى جميع أقاويله بقدم العالم ، ولا شك أنه رأيه ، إلا أنه إن كان قد برهن عليه ، فما برهانه ؟ وإن كان لم يبرهن فمن أى قبيل هو كلامه فيه ؟

ثانياً : ما هو المقصود من العلم الإلهى ؟ وما مقدماته الضرورية ، إن كان له مقدمات ؟

ثالثاً : المقولات : أى شىء هى ؟ وكيف يتصرف بها فى أجناس العلوم حتى يتم عددها ؟ وكم عددها ؟ وهل يمكن أن تكون أقل ؟ وهل يمكن أن تكون أكثر ؟ وما البرهان على ذلك ؟

رابعاً : ما الدليل على بقاء النفس ؟ وهل تبقى ؟ وأين خالف الحكيم « أرسطو » الإسكندر الافروديسى » .

وقد أجاب ابن سبعين على تلك الأسئلة فى رسالة لا زالت بين أيدينا .. تتحدث عن عظمة الفكر الصوفى وإلهاماته وفتوحاته .

هذه مواقف رجال التصوف ، وعلماء المعرفة الصوفية ، فماذا يقول خصوم التصوف ، وخصوم ابن سبعين !! ؟

رابعة العدوية ... والحب الإلهى

أحبك حبين حب الهوى ... وحباً لأنك أهل لذاكا
فأما الذى هو حب الهوى ... فشغلى بذكرك عمن سواكا
وأما الذى أنت أهل له ... فكشفك للحجب حتى أراكا
فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى ... ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا